كتب حديثة عن الخليج العربى

المؤلف : جمال زكريا قاسم

الكتاب : دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقية (١٧٤١-١٨٦١)

مكتبة القاهرة الحديثة

تعليق : دكتور عبد العزيز سليمان نوار

كانت المراجع الأوربية هى المعتمدة منذ وقت قريب فيما يتعلق بتاريخ الخليج العربي الحديث . وكانت كتابة تاريخه بأقلام عربية أمنيه عزيزة لدى المشتغلين بالتاريخ والعلوم السياسية . ولقد قدم لنا الدكتور جمال زكريا قاسم دراستين متخصصتين في تاريخ الإمارات العربية في الخليج العربي هما :

١ ــ دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقية (١٧٤١ ــ ١٨٦١) . وهى رسالته التى حصل بها على درجة الماجستير في التاريخ .

٢ ــ الخليج العربي . دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٨٤٠ ــ ١٩١٤) وهى دراسته التى حصل بها على درجة الدكتوراه ودراسة دولة البوسعيد لها قيمة هامة في التاريخ الحديث لأنه في الوقت الذى كانت فيه هذه الدولة قد بلغت ذروة قوتها في كل من عمان وشرق إفريقية وأصبحت أكبر قوة محلية عربية بحرية ، كانت هناك حركات كبرى في العالم العربي تعمل على إنهاضه من تخلفه فدولة البوسعيد نشأت ونمت بالقرب منها في نجد الحركة الوهابية ، تلك الحركة التى اصطدمت بعنف مع مصر الفتية أيام محمد على وأدى ذلك إلى وصول النفوذ المصرى بقوة إلى عمان والبحرين والكويت كذلك عاصرت دولة البوسعيد أحداثاً عالمية كبرى كالحملة الفرنسية على مصر وفترة الحروب النابليونية .

قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أبواب عالج في الأول تاريخ دولة البوسعيد منذ استلامها السلطة من يد اليعاربة حتى تولى السيد سعيد مقاليد البلاد في ١٨٠٦ .

والباب الثاني درس فيه الظروف التى مهدت لتولى السيد سعيد الحكم والأوضاع الداخلية التى واجهها والمجهودات الكبيرة التى بذلها في الخليج العربي من أجل السيطرة عليه . وفي الباب الثالث استعراض لشرق إفريقية تحت حكم السيد سعيد حتى تقسيم دولة البوسعيد إلى دولة مسقط وعمان وأخرى في زنجبار .

ولاشك أن انتقال مسقط وعمان من المجال الملاحى في المحيط الهندى والبحر العربي حتى شرق إفريقية كان نتيجة جهود كبيرة بذلها عرب عمان منذ أن تولوا مهمة ملأ الفراغ الذى تخلف عن تدهور القوة الفارسية في الخليج العربي بعد نادر شاه . ولا تكاد أسرة البوسعيد تحرز بعض التقدم في هذه النواحى حتى وجدت نفسها معرضة لضغط عسكرى مباشر من الدولة السعودية الوهابية ، فكان أن وقع صراع متطاول بين الدولتين .

ولقد وقعت تلك الأزمات في وقت كانت فيه فرنسا قد تحولت من التطلع إلى الشرق العربي إلى استعماره ، فبعثت بحملة نابليون بونابرت ، وكان من الأهداف الهامة التى سعى إليها نابليون بونابرت - سواء أثناء وجود الحملة الفرنسية أو خلال سنوات حكمه في باريس - التعاون مع سلطان مسقط . وردت شركة الهند الشرقية البريطانية على ذلك بأن عقدت معاهدة ١٧٩٨ م مع سلطان مسقط لتقطع الطريق على الفرنسيين . حقيقة استمرت الاتصالات بين مسقط وفرنسا بعد ذلك ولكن دون أن تحرز فرنسا تفوقاً على انجلترا وذلك بسبب الوجود العسكرى الانجليزى في الخليج ممثلاً في أسطول شركة الهند الشرقية البريطانية في الوقت الذى لم تكن للفرنسيين قوة بحرية تذكر في الخليج العربي .

وفي عهد السيد سعيد (١٨٠٦ — ١٨٥٦) تعاظم النفوذ الانجليزى في دولة البوسعيد والخليج العربي ، ومما أعان الانجليز على ذلك أن السيد سعيد كان قد ربط نفسه بالسياسة البريطانية وتعاون معهم إلى أبعد الحدود . ولقد قدم له الانجليز بعض الخدمات فأعانوه ضد ثورة البوعلى عليه وضد الوهابيين وضد التوسع المصرى ولكن كشفت دراسة المؤلف لهذا الموضوع أن الانجليز أفادوا كثيراً من صداقتهم للسيد سعيد وبالعكس كان ما أفاده السيد سعيد

من صداقتهم قليلاً بل أدى إلى تدمير الدولة التى بناها . فلقد تعاون السيد سعيد مع الانجليز في توجيه ضربة حاسمة إلى إمارات الساحل المهادن أدت إلى ربط هذه الإمارات بعجلة الإمبريالية البريطانية وفي نفس الوقت رفض الانجليز رفضاً باتاً أن يمد السيد سعيد سلطته إلى البحرين . ولقد خرجت بريطانيا من تعاونها مع السيد سعيد بالانفراد بمقدرات الخليج وهو الهدف الذى كانت تسعى إليه .

أما في شرق أفريقية فإن نشاط السيد سعيد كان أكثر فبعد أن وطد حكمه في زنجبار والساحل نشر زراعة القرنفل والقصب وجمع ثروة كبيرة من تجارة الرقيق وفتح قلب إفريقية لقوافل التجار الذين حملوا معهم إلى تلك المجاهل الحضارة الإسلامية .

وكان أن ارتفعت قيمة شرق إفريقية لدى السيد سعيد حتى أنه نقل عاصمته إلى زنجبار في ١٨٣٢ ولقد بذل السيد سعيد جهداً كبيراً في توطيد حكمه في وجه ثورات عنيفة في ممبسه وغيرها حتى أنه سعى إلى الزواج من ملكه مدغشقر لعله يكسب تعاونها معه في القضاء على ثورة ممبسة ولعله كان يهدف أيضاً بتوسيع ممتلكاته في شرق إفريقيا بضم جزيرة مدغشقر إليه كذلك كان من أسباب عقده معاهدة تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٣٣ أنه أراد أن يحصل على معونة هذه الدولة ضد ثوار ممبسه . ورغم كل تلك الجهود الكبرى إلا أن دولة السيد سعيد كان تحتوى على قوى هدم خطيرة جداً ؛ وعلى رأسها أن البوسعيد لم يتجهوا إلى إقامة جيش وطنى وإنما اعتمدوا على المرتزقة ، واعتمدوا على تموين بمباى لأسطولهم فوضعوا مقدراتهم في يد الإمبريالية البريطانية ، وأعانت دولة البوسعيد على ظهور عدة مراكز قوى متنافرة في المشرق العربي .

— المماليك ثم العثمانيون في العراق

— السعوديون في نجد والأحساء .

هذا إلى جانب الإمارات العربية التى وقعت تحت السيطرة البريطانية . بل إلى جانب ذلك كان يقدم هدايا غير معقولة إلى بريطانيا ، منها التنازل

عن جزر كوريا موريا ، وإهداء بعض قطع أسطوله القوية إلى الملكة فيكتوريا وفتح الباب أمام مصراعيه للانجليز ليقوموا بمقاومة تجارة الرقيق حقيقة كان هذا الهدف هدفاً إنسانياً عظيماً ولكن بريطانيا التى حاربت تجارة الرق في المشرق العربي وإفريقية كانت في نفس الوقت تفرض بقوة السلاح والحرب تجارة الأفيون على الصين . إن بريطانيا لم تتحمس لوقف تجارة الرقيق إلا لأنها كانت قد استنفدت أغراضها من تلك النتيجة ومن ناحية أخرى كان القيام بهذا العمل الإنساني يفتح لها مجالات واسعة للسيطرة على الشعوب .

المؤلف : جمال زكريا قاسم

الكتاب : الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ — ١٩١٤

مطبعة جامعة عين شمس . القاهرة ١٩٦٦ .

تعليق : دكتور عبد العزيز سليمان نوار

إن التخصص الدقيق في عصرنا هذا أمر أصبح ملحاً كل الإلحاح ، وقد اتجهت مدرسة التاريخ الحديث إلى إعداد عدد من المتخصصين في فروع معينة من التاريخ ولهذا نجد من هذه المدرسة من ركز أبحاثه في اليمن الحديث، ومن ركز أبحاثه في العراق الحديث ، وقد تخصص الدكتور جمال زكريا قاسم في الخليج العربي في العصر الحديث وإلى جانب ذلك عنى بشرق إفريقية عناية خاصة لارتباطها الوثيق بتاريخ عمان .

وكتابه الذى نحن بصدده دراسة مفصلة وثائقية لتاريخ الخليج العربي بعد انسحاب المصريين من شبه الجزيرة العربية حتى نشوب الحرب العالمية الأولى .

وعرض لنا في الباب الأول من كتابه الأوضاع السياسية في الخليج بعد انسحاب القوات المصرية حتى قيام الحرب العالمية الأولى وهى فترة دقيقة أصبحت خلالها القوى الوطنية هناك في مواجهة الإمبريالية البريطانية التى أثبتت قدرتها على منع أية قوة غيرها من الظهور في المنطقة عندما أرغمت شيخ البحرين على التنكر للاتفاقية التى عقدها مع المصريين ، وعندما أرغموا المصريين على الانسحاب من المنطقة . وكانت القوة السعودية وسلطنة مسقط هما القوتان المحليتان المسئولتان عن المحافظة على كيان المنطقه من العدوان البريطاني ، ولكن الدولة السعودية الثانية كانت ضعيفة غير قادرة على التصدى للانجليز ، ودولة البوسعيد كانت تحتضر ، أما الدولتان الإسلاميتان الكبيرتان المشرفتان على الخليج العربي وهما فارس والدولة العثمانية فكانتا تضعان مصالحهما الذاتية فوق مصالح الخليج والوحدة الإسلامية . ورغم هذا

الضعف والتفكك في القوى المحلية المناهضة للوجود البريطاني في الخليج العربي فإنها بذلت مجهودات كبيرة لوقف الزحف الإمبريالى . ولقد عنى المؤلف عناية كبيرة بهذه المجهودات فقدم لنا في الباب الأول دراسة لإمارة نجد (١٨٤٢ — ١٨٦٥) وعلاقاتها ببريطانيا التى كانت تستخدم القوة كلما حاولت إمارة نجد مد يدها إلى البحرين أو إلى الساحل المهادن أو إلى عمان وكلها كانت تحت السيطرة البريطانية . وكذلك درس سلطنة مسقط من الانقسام حتى الحماية (١٨٥٦ — ١٨٩١) ، فبين دور مستر كاننج السياسى البريطاني المشهور في تقسيم دولة البوسعيد إلى عمان وزنجبار وما تبع ذلك من تدهور في سلطنة مسقط بسبب تحفز فارس من ناحية والسعوديون من ناحية أخرى للسيطرة عليها بينما وقفت بريطانيا ضد فارس والسعوديين فبدأت وكأنها هى المدافعة عن مسقط والحقيقة هى أن الأمر انتهى بتلك السلطنة التى كانت تمتلك أكبر أسطول بحرى في سواحل المحيط الهندى وتسيطر على ممتلكات واسعة على الساحل الشرقي لأفريقية . . . إلى تفكك مقاطعاتها الداخلية ثم وقوعها تحت السيطرة البريطانية

ونتيجة مشابهة نطالعها في علاقة بريطانيا بمشيخات الساحل المهادن ، فقد كانت هذه المشيخات جزءاً من الدولة السعودية ، ثم فرضت عليها بريطانيا معاهدة ١٨٢٠ وفصلتها عن الدوله السعودية ، وظهرت إمارات مكروسكوبية متقاتلة لا حول لها ولا قوة أمام السفن البريطانية ، أو أمام المعاهدات العديدة التى فرضت عليها ، وأصبحت هذه الإمارات بعيدة عن متناول يد القوى المحلية الراغبة في إنقاذ الخليج من بريطانيا . وخاصة الدولة العثمانية . فلقد حاول مدحت باشا إنقاذ المنطقة من بريطانيا وبعث بحملة كبيرة استولت على الأحساء ولكن تصدت بريطانيا لتلك الحملة ١٨٧١ فأوقفت تقدمها عند حدود قطر ، ومنعتها من مد يدها إلى البحرين ، ولم تستطع تخليص الساحل المهادن ولا عمان من الإمبريالية البريطانية .

ومن ناحية أخرى كانت الدولة العثمانية في كفاحها ضد الوجود العدواني البريطاني في الخليج العربي تجد نفسها مضطرة إلى الاصطدام بجارتها الدول

الإسلامية الكبرى في إيران التى كانت تدعى السيطرة على البحرين ، ولقد كانت بريطانيا صلبة في رفض مطالب كل من الشاه الفارسى ، والسلطان العثماني وظلت بريطانيا ترفض بشده أى ادعاءات فارسية في البحرين حتى سنوات قليلة عندما اشتد تيار القومية العربية ففتحت باب الهجرة الإيرانية إلى إمارات الساحل المهادن بالذات ، وكادت أن تخلق مشكلة خطيرة للمنطقة لولا المقاومة العنيفة الصادرة عن الجمهورية العربية المتحدة ضد تلك السياسات البريطانية الخطرة على مستقبل البلاد . حقيقة اقتصرت اقتصرت دراسة المؤلف بسبب طبيعة بحثه - على الأطماع الفارسية في البحرين (١٨٤٢ — ١٨٧١) ، ولكنه في نفس الوقت أعطانا صورة واضحة للمناورات الدبلوماسية والأساليب البريطانية التى كانت تتبع حينذاك لانفراد بريطانيا بالمنطقة .

وفي الباب الثاني دراسة مفصلة للمحاولة الكبيرة العثمانية للتوسع في الخليج العربي ومد خط حديد بغداد إلى الكويت وما ترتب عن ذلك من استغلال بريطانيا للنزاعات الأسرية في الكويت وعقد معاهدة ١٨٩٩ التى أغلقت منفذ خط حديد بغداد . كذلك درس في هذا الباب ظهور الدولة السعودية الثالثة على يد عبد العزيز بن سعود وتطلعاته القوية إلى الخليج العربي ولكن القيود التى فرضتها بريطانيا على السواحل ، وضغط الدولة العثمانية عليه كادت أن تجعله هو الآخر مجرد أمير تحت الحماية البريطانية . وكانت محاولته الجزئية التى أدت إلى الاستيلاء على الأحساء ١٩١٣ من يد العثمانيين أكبر عملية قام بها قبل الحرب العالمية الأولى فأنقذ بذلك الأحساء من الانجليز ولم يكن يدرى حينذاك بأن الأحساء تسبح على بحيرة من البترول .

وفي نهاية الباب الثاني أوضح المؤلف الجهد الذى بذلته الحكومة العثمانية لتصفية مشاكلها في الخليج العربي بعقد تسوية ١٩١٣ مع بريطانيا التى تركت لبريطانيا منطقة نفوذ تمتد من قطر إلى عمان وتركت الأحساء للدولة العثمانية ولكن لم تبرم الاتفاقية بسبب وقوع الحرب العالميه الأولى .

وفي الباب الثالث دراسة للتنافس الانجليزى الفرنسى الروسى الألماني فلقد أصبح الخليج منطقة احتكاك كبرى بين الدول الكبرى وكانت مشكلة خط حديد بغداد محور ذلك التنافس ومع أن الدول الكبرى استطاعت أن تتفاهم على تسوية عامة للمشكلة إلا أن وقوع الحرب العالمية الأولى أدى إلى سيطرة بريطانية على كل من الخليج العربي والعراق فانفردت بالمنطقة ولم تخرج منها إلا على يد الحركات التحررية في العراق والخليج والجمهورية العربية المتحدة .